— ٥ —

على مبارك

ومعاصروه

مضى على حركة الترجمة فى عصر محمد على نحو العشرين عاماً ، والجهد فى خلالها متجه كله إلى الترجمة فقط ، ولم يجد تلاميذ المدارس ومدرسوها وخريجوها الفراغ الكافى ليستجيبوا للثقافات التى تلقوها ، فيؤلفون ، كذلك كانت ترجمتهم تصطبغ بالصبغة الرسمية ، فهم — إن صح التعبير — كانوا مترجمين محترفين لا هاوين ، يترجمون ما يؤمرون بترجمته ، لا ما يريدن ترجمته ، وما يؤمرون بترجمته كان علماً خالصاً ، لا يستطيع القراء العاديون — على ندرتهم — أن يقرأوه أو يتذوقوه ، وهم وإن فكروا فى قراءته لا يستطيعون فهمه .

ولهذا كان تأثير الترجمة فى عصر محمد على فى المجتمع المصرى ضئيلاً .

وعند ما أنشئت مدرسة الألسن سنة ١٨٣٥ كانت كتبها التى ترجمت فى العلوم الإنسانية المختلفة من تاريخ ورحلات وجغرافيا

وأدب أقرب إلى ذهن القارىء العادى وفهمه ، وكان من الممكن أن تؤثر هذه المدرسة وخريجوها التأثير الطيب فى ثقافة الشعب المصرى لو امتد بها العمر ، لكنها ألغيت بعد موت محمد على ، وتشتت خريجوها موظفين فى المصالح والدواوين المختلفة ، وكانت نكسة شملت عصرى عباس وسعيد ، ولكن الأثر الأول للمدرسة لم يخمد ولم يمت ، بل كان مستقراً مستجماً فى نفوس تلاميذها ، فلما استؤنفت النهضة فى عهد إسماعيل كان هؤلاء التلاميذ هم عدتها وعمدها ، فانطلقوا يترجمون من جديد ، بل لقد خطوا الخطوة الثانية الطبيعية ، فانطلقوا يؤلفون ، وعاد إليهم أستاذهم رفاعة فانضووا تحت لوائه يعمل ويعملون من جديد ، فترجموا معاً « قانون نابليون » ، وترجم وألف أبو السعود وخليفة محمود وصالح مجدى فى التاريخ والجغرافيا ، وترجم عثمان جلال فى الأدب ، وألف قدرى باشا كتبه فى القانون ، وأنشأ أبو السعود أول صحيفة مصرية أهلية وهى « وادى النيل » .

وفى عهد إسماعيل أيضاً وضع رفاعة كل مؤلفاته ، تاريخية وغير تاريخية مثل : « مناهج الألباب المصرية فى مباهج الآداب المصرية » و ، « المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين » و « التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية » و « أنوار توفيق الجليل فى أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل » و « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » .

علي مبارك

obeikandl.com

وهكذا شهد عصر إسماعيل نهضة كبرى فى التأليف والدراسات التاريخية .

وقد أشرنا من قبل إلى الجهود التى بذلها رفاعة وتلاميذه فى تأليف الكتب التاريخية فى هذا العصر كما ظهر فى هذا الميدان رائد آخر هو على مبارك .

ولد على مبارك[1] فى قرية برنبال الجديدة من قرى مديرية الدقهلية فى سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) وتلقى علومه الأولى فى كتابها ، وفى الثانية عشرة من عمره التحق بمدرسة قصر العينى ، ثم انتقل

---

(١) انظر سيرة حياته التى كتبها بقلمه فى : (كتابه الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٣٧ – ٦١) ، وفيها أرخ لنفسه إلى سنة ١٣٠٥ (١٨٨٨) وقد استخرج هذه السيرة وطبعها وحدها صديقه الدكتور محمد درى بعنوان : (ترجمة حياة المغفور له على باشا مبارك» القاهرة ، ١٣١١) ؛ وقد ترجم له الكثيرون بعد ذلك ، انظر مثلا : (على مبارك ، مقال فى مجلة المقتطف ، السنة ١٨ ، العددان ٣ و ٤) و (جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، ج ٢ ص ٣٣ وما بعدها) و (أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ١٨٤ — ٢٠١) و (أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، صفحات كثيرة منه) و (نفس المؤلف : تاريخ التعليم فى مصر – عصر عباس سعيد و عصر إسماعيل – جزءان ، صفحات كثيرة منه) و (محمد أحمد خلف الله : على مبارك ، سيرته ومؤلفاته ، القاهرة) و (أمين سامى باشا : التعليم فى مصر) و(عمر طوسون : تاريخ البعثات العلمية) .

منها إلى مدرسة أبى زعبل ، وبعد أن أتم دراسته الثانوية دخل مدرسة المهندسخانة ببولاق .

وفى سنة ١٢٦٠ (١٨٤٤) اختار محمد على عدداً من التلاميذ المتقدمين فى هذه المدرسة ليرسلوا فى بعثة إلى فرنسا ، وهى البعثة التى عرفت باسم بعثة الأنجال ، فقد كانت تضم عدداً من أفراد الأسرة العلوية من بينهم إسماعيل باشا (الخديو فيما بعد) ، وقد أقام على مبارك فى باريس ٥ سنوات درس فى خلالها الهندسة العسكرية ، وعاد إلى مصر فى سنة ١٨٥٠ فى عهد عباس الأول .

وكان عباس قد ألغى الكثير من المدارس التى أنشأها محمد على وأبقى على القليل منها ، فعهد إلى على مبارك بإدارة هذا القليل والإشراف عليه .

وفى عهد سعيد ألحق على مبارك بالفرقة الحربية المصرية التى سافرت لمساعدة الدولة العثمانية فى حربها مع روسيا ، فأقام بتركيا نحو سنتين وعاد إلى مصر فلم يعهد إليه بعمل ما إذ لم يكن على وفاق مع سعيد .

ويعتبر عصر إسماعيل العصر الزاهر بالنسبة لعلى مبارك ، فقد كان رفيقه فى البعثة إلى فرنسا ، ولهذا عهد إسماعيل إليه بإدارة شؤون التعليم ، ونشط على مبارك للعمل فوضع مشروعاً لتنظيم التعليم الابتدائى على وضع جديد ، وعنى بمسألة تكوين المعلم

الصالح ، ولم يكن بمصر مدرسة لتخريج المعلمين ، بل كان مدرسو الدين واللغة العربية يؤخذون من الأزهر ، ومدرسو العلوم الاجتماعية واللغات يؤخذون من خريجى الألسن ، فأنشأ على مبارك مدرسة دار العلوم ، واختار تلاميذها من خيرة طلاب الأزهر ، واختار معلميها من علماء الأزهر الممتازين ، ووضع لها منهجاً جمع بين العلوم الدينية واللغوية ، وقدراً من العلوم المدنية كالرياضة والطبيعة والكيمياء والتاريخ والجغرافيا ، واللغات الأجنبية .

وأنشأ على مبارك أول مجلة ثقافية فى مصر الحديثة وهى مجلة « روضة المدارس » وعهد بإدارتها إلى رفاعة بك الطهطاوى ، كما أنشأ أول دار للكتب فى القاهرة ، وهى دار الكتب الخديوية ، وجمع لها كل الكتب والمخطوطات الباقية فى المساجد .

كانت ثقافة على مبارك ثقافة هندسية عسكرية ، ولكنه شغف بالتاريخ وأحبه ، وله مؤلفات كثيرة فى الهندسة وغيرها ، ولكن أعظم مؤلفاته وأبقاها هو كتابه الكبير « الخطط التوفيقية الجديدة » فى عشرين جزءاً .

وفن تأليف كتب الخطط فن مصرى أصيل ، نشأ فى مصر الإسلامية وفيها دون غيرها من الأمصار الإسلامية نما وترعرع . وأول من ألف فيه الكندى ، ولم يكن يمضى قرن بعد ذلك حتى

يظهر فيه مؤلف أو أكثر يكتبون فى خطط مصر ، وكان آخرهم تقى الدين المقريزى الذى عاش فى القرن الخامس عشر الميلادى .

وقد اتخذ على مبارك خطط المقريزى أساساً لكتابه ، ثم تتبع مدن مصر وقراها ومنشآتها ، فأثبت ما أصابها من تغير أو تطور إلى عهده ، وقد نهج على مبارك عند تأليف كتابه النهج العلمى ، فرجع إلى ما استطاع الرجوع إليه من الوثائق والنقوش ، مثل : «حجج الأوقاف والأملاك وما وُجد مسطوراً على الأحجار والجدران »[1] .

وعلى مبارك يختلف عن غيره من المؤرخين المصريين السابقين فى العصر الإسلامى ، ويشبه إلى حد كبير رفاعة فى الطريقة العلمية التى اتبعها عند تأليف الخطط ، فقد رجع إلى المراجع العربية القديمة ، ورجع كذلك إلى المراجع الأوربية الفرنسية ، فهو يتقن اللغة الفرنسية ، وهو قد قرأ كثيراً من كتب العلماء الأوربيين والمستشرقين الذين كتبوا عن تاريخ مصر كتبا جديدة جلوا فيها كثيرا من الغامض ، وهو يعرف أن البحوث الأثرية قد أوضحت الكثير من تاريخ مصر القديم وكشفت عن أسرار آثارها ، وقد نص على هذا فى مقدمة كتابه فقال إنه جمع « من كتب العجم والعرب ما يفضى بمتأمله إلى

---

(١) على مبارك : الخطط ، ج ١ ، ص ٢

العجب ، مراجعا كتب العرب والإفرنج الذين ساحوا تلك الديار ، ورسومهم التى بينوا فيها حدود هذه الأقطار » ، وقال أيضا : « إن أكثر الآثار القديمة كالأهرام والبرابى وغيرها مما بقى من أعمال الأمم الماضية والقرون الخالية لم يكن الغرض من ذكرها إلا كونها من عجائب الدنيا ومعلوم أن الكتابة الطيرية المعروفة بالهيروجليفية لم تنكشف حقيقتها إلا فى هذا القرن ، فقد وقف الفرنج على حقائقها من الكتابات الباقية على جدران الآثار المصرية والمبانى الفرعونية ، وأخذوا مجدين اليوم فى توسيع دائرة علمها ، فالتزمت أن أطالع ما كتب بخصوص تلك الآثار ، وألخص ما فيه الفائدة من غير إطالة ولا إكثار . . . الخ[1] .

والكتاب فيه وصف لطبوغرافية المدن والقرى المصرية جميعا ، فالمؤلف يتحدث عن تاريخ كل مدينة من أقدم العصور ، ويصف خططها ومبانيها ومرافقها العامة وما بها من مساجد أو كنائس أو أديرة أو مدارس أو مصانع أو حمامات أو وكائل . . الخ ويذكر ما أصاب هذه المنشآت من تطور خلال العصور .

وللكتاب ميزة أخرى هامة ، فهو قد سار على الأسلوب الذى اتبعه المقريزى فى خططه ، فكان يترجم لمن برز فى تاريخ كل

---

(١) الخطط ١/٢ – ٣ .

مدنية أو لمن عاش فيها أو دفن فيها من أعيان أو علماء أو أدباء أو أمراء ، وقد ظهر فى تاريخ المدن المصرية — بعد عصر المقريزى — عدد كبير من الرجال المشهورين ، فرجع على مبارك عند الترجمة لمن لم يعيشوا فى عصره إلى المراجع التاريخية السابقة ، وبخاصة كتاب عجائب الآثار للجبرتى ، أما الرجال المعاصرون ، أى الذين عاشوا فى عصر محمد على وخاصة رجال البعثات والنهضة التعليمية فقد كان على مبارك أول من ترجم لهم فى خططه ، ولا عجب فقد عاصر عددا كبيرا منهم ، وكان الكثيرون منهم من رفقائه فى الدراسة ، أو زملائه فى الوظائف ، وكان يبذل الجهد الكبير لجمع مادة هذه التراجم ، فإذا أعوزته طلب من صاحب الترجمة أن يكتب له ترجمة حياته بنفسه ؛ فكتاب «الخطط التوفيقية» كان ولا يزال وسيظل مرجعا من أهم المراجع لدراسة تاريخ نهر النيل والمدن المصرية وطبوغرافيتها ، ولتراجم عدد كبير من الرجال الذين صنعوا تاريخ مصر الحديثة ، وخاصة أولئك الذين عاشوا وبنوا تاريخها ونهضتها فى القرن التاسع عشر .

وقد خصص على مبارك ستة أجزاء من كتابه لمدينة القاهرة ، وأرخ فى الجزء السابع لمدينة الإسكندرية ، كما أرخ للمدن المصرية الأخرى فى العشرة أجزاء التالية من الثامن إلى السابع عشر ، ثم أفرد الجزء الثامن عشر للحديث عن نهر النيل ومقاييسه من أقدم العصور إلى عصره ، كما تحدث حديثاً مفصلاً عن ترع

مصر وخلجانها فى الجزء التاسع عشر ، أما الجزء العشرون فقد أرخ فيه للنقود المصرية فى العصر الإسلامى .

وقد ذكرنا من قبل أن على مبارك وضع بالاشتراك مع صالح مجدى كتاباً آخر ضخماً فى تاريخ مصر منذ عهد الفراعنة ، ووصلا فيه إلى سنة ١١٦٠ هـ ، ولكن هذا التاريخ للأسف مفقود لا نعرف عنه شيئاً .

ولعلى مبارك تاريخ ثالث ، ولكنه مترجم ، وهو « خلاصة تاريخ العرب » ، تأليف سيديو ، وقد ترجمه على مبارك عن الفرنسية ، وطبع فى القاهرة سنة ١٣٠٩ .

ولعلى مبارك كتب كثيرة أخرى ، بعضها فى فنون الحرب والهندسة ، وهى الفنون التى درسها وتخصص فيها ، وهذه لا تعنينا فى شىء هنا ، والبعض الآخر كتب لها صلة بالتاريخ ، أو فيها فصول تاريخية ، ولهذا نرى من المفيد الإلماع إليها هنا استكمالاً للبحث ، وهذه الكتب هى :

١ — نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر ، وقد طبع فى مطبعة وادى النيل بالقاهرة سنة ١٢٩٨ (١٨٧٢) ، وهو كتاب له أهمية كبرى عند دراسة تاريخ نهر النيل وفيضانه ونظام الرى ومشاريعه فى مصر .

٢ — حقائق الأخبار فى [illegible] البحار ، وقد نشره مؤلفه

تباعا فى مجلة روضة المدارس ، ثم طبع بعد ذلك مكتملاً فى مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ .

٣ — علم الدين ، وهى قصة خيالية فى أربعة أجزاء يدور الحديث فيها بين عالم مصرى من الأزهر وعالم أوربى من انجلترا ، ويبدأ الحديث فى مصر ، فيقف العالم الإنجليزى موقف التلميذ يسأل الشيخ المصرى عن حقيقة كل ما يراه من مظاهر الحياة المصرية وتاريخها ، ثم يرحل الرجلان إلى أوربا فينقلب الموقف ويتخذ الشيخ المصرى موقف التلميذ يسأل رفيقه الإنجليزى عن كل غريب يراه ، وكل ما كان يراه غريب ، فالهدف من تأليف هذا الكتاب هو عقد مقارنة بين مظاهر الحياة والمدنية فى الشرق والغرب لتنبيه أذهان الشرقيين إلى محاسن الحضارة الأوربية الحديثة ، ولهذا فالكتاب ملىء بالفصول العلمية والتاريخية ، وقد طبع فى مطبعة المحروسة باسكندرية سنة ١٢٩٩ (١٨٨٢) .

٤ — الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان ، وفيه دراسة مقارنة فى تاريخ الأقيسة والمكاييل والأوزان فى مصر القديمة وفى مصر الإسلامية ، وقد طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ .

ونستطيع بعد هذا العرض السريع لحياة على مبارك وجهوده فى التأليف التاريخى أن نقول إن الرجل كان يقف فى عصرى إسماعيل وتوفيق (أى إلى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً) على رأس مدرسة من المؤرخين لها طابع خاص .

ولم يكن أفراد هـذه المدرسة التاريخية من تلاميذه كما كان معظم أفراد مدرسة رفاعة من تلاميذه ، فإن طبيعة مدرسة المهندسخانة غير طبيعة مدرسة الألسن ، وإنما كان رجال مدرسة على مبارك طوائف مختلفة : بعضهم من زملائه الذين رافقوه فى مدرسة المهندسخانة (تلاميذ أو مدرسين) ، وبعضهم ممن عاصروه من خريجى مدرسة الألسن أو من خريجى مدرسة اللسان القديم ، أما الطابع الخاص الذى يميز أفراد هذه المدرسة وإنتاجهم التاريخى فهو أن معظم مؤلفاتهم التاريخية فيها مزج بين التاريخ وبين كثير من العلوم الأصيلة التى درسوها ، كالهندسة والطبوغرافية والرياضة والفلك والآثار ، كما أن إنتاج هذه المدرسة التاريخى يغلب فيه التأليف على الترجمة ، ويغلب فيه الابتكار على النقل ، وهذان هما الفارقان الواضحان بين إنتاج رفاعة ومدرسته ، وإنتاج على مبارك ومدرسته ، ولعل هذا راجع إلى الدراسة العلمية والعقلية التى امتاز بها على مبارك وأفراد مدرسته .

والدراسة التفصيلية الدقيقة للكتب التاريخية التى ألفها على مبارك تؤكد هذه الحقائق ، فالخطط التوفيقية فيه دراسة طبوغرافية لمدن مصر ، وفيه إفادة واضحة من الكشوف الأثرية التى تمت فى القرن التاسع عشر ومن الحقائق الجديدة التى أضافتها هذه الكشوف عن تاريخ عصر فى العصور القديمة ،

والأجزاء الثلاثة الأخيرة فيها دراسات مستفيضة عن النيل وفيضانه ومقاييسه وترعه وخلجانه ، وعن النقود الإسلامية وعيارها وقيمها فى العصور المختلفة ، وقد أفاد المؤلف كثيراً عند كتابة هذه الأجزاء عن دراساته الرياضية والهندسية ، وهذا الذى نقوله عن الخطط يصدق على كتابيه الآخرين « نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر » و « الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان » .

obeikandl.com

معاصرو على مبارك

محمود الفلكى :

وخير من يمثل الفريق الأول من رجال مدرسة على مبارك وهم زملاؤه فى المهندسخانه هو محمود الفلكى .

ولد محمود الفلكى[١]، فى بلدة الحصة بمديرية الغربية سنة ١٨١٥ ، ودرس فى المهندسخانة عندما كانت فى القلعة ، وبعد تخرجه عين مدرساً بها فى سنة ١٨٣٤ ، وكانت قد انتقلت إلى بولاق ، وضمت إليها بعض المدارس الهندسية الأخرى ، ووضع لها نظام يشبه نظام مدرسة الهندسة فى باريس .

وفى سنة ١٨٣٩ التحق على مبارك بالمهندسخانة ، وفيها تتلمذ على يد محمود الفلكى فى علوم الرياضة ، ولكن على مبارك أُرسل بعد تخرجه — كما أسلفنا — فى بعثة إلى فرنسا ؛ هى بعثة

---

(١) انظر عن سيرته (عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل) و (أمين سامى : تقويم النيل) و (أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، وفى عصر إسماعيل) و (الدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن : محمود الفلكى ، فصل من كتاب : سلسلة أحاديث كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول عن العلوم المبسطة ، المجموعة الثانية ، مطبوعات كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٥) .

الأنجال ، فلما عاد من البعثة كان من المقربين إلى عباس الأول ، فلم ينس فضل أستاذه محمود الفلكى عليه ، بل رد إليه الجميل بأن اقترح على عباس إرساله مع اثنين آخرين فى بعثة لدراسة علوم الفلك فى باريس ، وسافر محمود فى سنة ١٨٥٠ وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، رجلا مكتمل الرجولة ناضج التفكير ، ولهذا أفاد فائدة كبرى من دراساته فى باريس وغيرها من مدن أوربا ، فقد زار كثيراً من المدن والمراصد والجامعات الكبيرة ، وأعد أثناء دراسته عددا من البحوث القيمة نشرت فى المجلات العلمية الأوربية ، والذى نلاحظه أن بعض هذه الأبحاث فيه مزج بين الدراسات التاريخية والدراسات العلمية الخالصة ، أى أنه من النوع الذى قلنا إنه يميز الكتابات التاريخية لعلى مبارك ومدرسته ، ومن هذه الأبحاث بحث كتبه محمود الفلكى فى سنة ١٨٥٨ فى تحقيق تاريخ ميلاد النبى محمد عليه السلام ، وتاريخ الهجرة ، معتمدا فيه على دراسة بعض الظواهر الفلكية ، ونشر هذا البحث باللغة الفرنسية فى المجلة الأسيوية بعنوان :

Memoires sur le Calenderier Arabe avant l'Islamisme, sur la Naissance et l'age du Prophét Mohammed (Par Mahmud Effendi. Astronome Egyptien).

وقد ترجم هذا البحث فيما بعد إلى اللغة العربية أحمد زكى باشا

محمود الفلكى

obeikandl.com

تحت عنوان « نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام ، تحقيق مولد النبى وعمره » ، وطبع فى بولاق سنة ١٣٠٥ هـ .

وقد عاد الفلكى من بعثته إلى مصر سنة ١٨٥٩ ، وعرف منذ ذلك الحين باسم محمود الفلكى ، ومنح لقب بك ثم باشا ، وقبل عضوا بالمعهد العلمى المصرى — الذى كان قد أعيد فتحه أخيرا — فى جلسة بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٥٩ ثم انتخب وكيلا له بعد ذلك بسنوات فى فبراير سنة ١٨٨٠ .

وبعد عودته عهد إليه بوضع خريطة لمصر : فابتدأ بالوجه البحرى وأتم خريطته بعد عشر سنوات ، واعتمد فى عملها على دراسات تاريخية عميقة ، ودراسات هندسية وجغرافية كذلك .

وأثناء قيامه بعمل هذه الخريطة تنقل محمود الفلكى فى جميع ربوع مصر من أقصاها إلى أقصاها ، وبدأ يعنى فى تنقلاته هذه بالدراسات الجغرافية والتاريخية والأثرية ، وعمل زمنا فى الكشف عن آثار البطالمة والرومان فى منطقة الإسكندرية[1] ، ورسم خريطة تاريخية أثرية لهذه المدنية لا زالت تعتبر حتى اليوم من أهم المراجع التاريخية لدراسة هذه المدينة العظيمة ، فقد حقق

---

(١) انظر : (الشيال : الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ١٩٥٢) .

فيها مواقع كثير من معالم المدينة فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وقد أتم طبع هذه الخريطة فى سنة ١٨٦٥ ، وطبعت فى بولاق سنة ١٨٧١ ، ثم وضع بالفرنسية كتاباً قيما جداً – رغم صغر حجمه — لشرح هذه الخريطة ، وطبع فى كوبنهاجن سنة ١٨٧٢ وعنوانه :

Mémoire sur l'Ancienne Alexandrie (Copenhagen, 1872).

وأثناء قيامه بالأعمال المتصلة بوضع خريطة مصر اكتشف فى أسوان فى سنة ١٨٦٩ مقياس النيل القديم ، فتحقق من تدريجه ورسمه ، ورسم بجواره مقياساً جديداً ضبط مستواه[1] .

ولست أريد أن أحصر أعماله الفلكية العظيمة فهى كثيرة وقيمة ولكن ليس هنا مجال ذكرها ؛ وإنما يكفى أن أشير إلى بعض هذه الأبحاث التى لها اتصال بالدراسات التاريخية ، فهو مثلاً قد بحث أمر الموازين والمكاييل ، وقدر معيارها ، وحقق المقاييس وأطوالها ونسبة بعضها إلى البعض الآخر ، فمهد السبيل بذلك لتنظيم الموازين والمكاييل فى مصر على أساس صحيح ، فقد

---

(١) حفر على هذا المقياس الجديد بالفرنسية ما ترجمته « لقد كشف هذا المقياس بعد ألف سنة من النسيان والإهمال ، وقد أبقيت التقاسيم القديمة كما هى ، ووضع مقياس جديد فى سنة ١٨٧٠ ميلادية فى عهد باعث نهضة مصر الحديثة الخديوى إسماعيل أحد خدامه المخلصين الفلكى محمود بك » .

حقق طول الذراع البلدى والذراع المعمارى والقصبة ، كما قاس مساحة الفدان ، وقدر قيمة وزن الرطل والدرهم ، وحجم القدح والأردب ، وحقق أن مكعب الذراع البلدى هو الأردب المصرى ... وهكذا ، وقد نشرت أبحاث محمود الفلكى فى هذا الموضوع فى المجلة الأسيوية سنة ١٨٧٣ .

وقد ترجم هذا البحث إلى اللغة العربية ، وطبعه فى مطبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٢٩٠ تحت عنوان « رسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية » .

وقد مثل محمود الفلكى الحكومة المصرية فى المؤتمر الجغرافى فى باريس سنة ١٨٧٥ ، وفى البندقية سنة ١٨٨١ ، وجمع بعد ذلك بيانات عن فيضان النيل وتحاريقه فى المدة من ١٨٢٥ إلى ١٨٨٤ كانت أساساً لتقديرات الرى ، ولا زالت مرجعا هاما لمهندسى النيل .

وللفلكى بحث قديم فى الظواهر الفلكية المتصلة ببناء الهرم ، كتبه فى مايو سنة ١٨٦٢ ، وطبع فى نشرة الأكاديمية الملكية البجيكية ، ثم أعاد طبعه ثانية بعد تنقيحه فى القاهرة سنة ١٨٨٥ تحت عنوان « عمر الأهرام والغرض من بنائها » .

"l'age et le But des Pyramides lus dans Slrius"

وقد بنى هذا البحث على تجارب فلكية شخصية قام بها

هو ، هذا وقد تولى محمود الفلكى نظارة المعارف مرتين : الأولى لمدة شهرين فى وزارة راغب باشا ، والثانية من ٩ يناير سنة ١٨٨٤ حتى وفاته فى ١٩ يوليو سنة ١٨٨٥ فى وزارة نوبار باشا .

وبعد فإنى أحسب أنى كنت على حق حين قرنت بين محمود الفلكى وعلى مبارك وجعلته من مدرسته ، فالرجلان كما رأينا من صميم الريف المصرى ، درسا فى المدارس التجهيزية الجديدة ثم فى مدرسة المهندسخانة ، ثم فى باريس ، وقد عملا مهندسين ، وتعلما فى وظائف الحكومة المختلفة ، وولى كل منهما نظارة المعارف ، وشارك فى الجمعيات والجهود العلمية فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

والرجلان شغفا حبا بالدراسات التاريخية ، وألفا فى هذا الميدان رسائل وكتباً طبعا فيها التاريخ بالدراسات العلمية فى الهندسة والمساحة والطبوغرافية والفلك والآثار ، والشبه واضح جداً بين أبحاث كل منهما فى هذا الميدان ، فعلى مبارك يؤلف فى طبوغرافية المدن المصرية جميعاً ، والفلكى يضع خريطة للقطر المصرى كله ، وخريطة للإسكندرية وكتابا فى تاريخها وطبوغرافيتها ، وكل منهما قام بأبحاث وألف كتبا عن النيل ونظام الرى ، وعن المقاييس والمكاييل والموازين . . وهكذا .

محمد مختار باشا .

وقريب منهما محمد مختار باشا[١] ، وهو قاهرى أصيل ، ولد فى القاهرة سنة ١٨٣٥ ، وتلقى علومه الأولى فى مدرسة الحى (وهى مدرسة عباس الأول) ثم التحق بالمدرسة الحربية بالقلعة ، وفى سنة ١٨٦٠ فى عهد سعيد باشا فرز الممتازون من طلبة لمدرستين الحربيتين فى القلعة وفى الإسكندرية وألغيت المدرستان ، وضم هؤلاء الطلاب إلى مدرسة المهندسخانة السعيدية ، وكان محمد مختار واحداً منهم ، ذكر هو هذه الحقيقة فى كتابه التوفيقات الإلهامية ، قال :

« وفى هذه السنة الهجرية ١٢٧٧ (١٨٦٠ م) صار فرز النجباء من المدرستين الحربيتين بالقلعة واسكندرية وضمهم إلى

---

(١) انظر ترجمته فى .

- جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق، ج ٢ ، ص١٩٥ .
- جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ، ١٨ - ١٨٣
- سركيس : معجم المطبوعات العربية
- محمد صبرى : مصر فى افريقيا الشرقية (هرر وزيلع وبربرة) القاهرة ١٩٣٩
- محمد مختار : التوفيقات الإلهامية ، القاهرة ١٣١٠ هـ

مدرسة المهندسخانة السعيدية بعد أن جعلت مدرسة حربية بيادة تحت إدارة دوبرناردى باشا ، وكان مؤلفه من ضمنهم ، كذا صار لغو مدرستى القلعة واسكندرية[١] » .

وقد انتظم بعد تخرجه فى خدمة الجيش المصرى ، وظل يرقى درجاته إلى أن منح رتبة اللواء سنة ١٨٨٦ .

وفى سنة ١٨٧٥ أرسلت حملة مصرية بقيادة محمد رؤوف باشا لفتح هرر ، وكان محمد مختار أركان حرب هذه الحملة[٢] ، وقام هناك بأعمال جغرافية هامة ، فقد كشف المناطق الواقعة بين زيلع وهرر ، ووضع — بالاشتراك مع عبد الله فوزى — خريطة لمدينة هرر وضواحيها[٣] .

وفى عهد الخديو عباس الثانى عين محمد مختار مأموراً للخاصة الخديوية ، وفى سنة ١٨٩٢ انتدب ليمثل مصر والجمعية الجغرافية الخديوية فى المؤتمر الجغرافى الدولى المنعقد فى مدينة جنوا ، وقدم للمؤتمر بحثاً أثبت فيه — كما قال هو عن نفسه — : « أن قدماء المصريين كانوا يعرفون شكل الأرض كما هو معلوم الآن[٤] » .

---

(١) التوفيقات الإلهامية ، ص ٦٣٩

(٢) التوفيقات الالهامية ، ص ٦٤٦ .

(٣) محمد صبرى : المرجع السابق ، ص ٧٣ — ٧٤ .

(٤) التوفيقات الإلهامية ، ص ٦٥٥ .

وقد عنى محمد مختار عناية خاصة بالأبحاث والدراسات التاريخية والجغرافية ، وألف كثيراً من الكتب والرسائل التاريخية ، بعضها باللغة الفرنسية والبعض الآخر باللغة العربية ، وشابه فى مؤلفاته زميليه على مبارك ومحمود الفلكى ، فأفاد كثيراً من دراساته العلمية الأولى فى الهندسة والرياضيات والفلك والجغرافيا وفنون الحرب فجاءت مؤلفاته التاريخية مطعمة بهذه العلوم متأثرة بها .

ومن أهم مؤلفاته الفرنسية مقاله القيم الذى دون فيه ملاحظاته عن إقليم هرر ، ونشر فى مجلة الجمعية الجغرافية تحت عنوان :

Notes sur le Pays de Harar. (Bulletin de la Société Khédiviale de Géographie du Caire. 1876).

أما مؤلفاته العربية فأهمها :

١ — التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية (من السنة الأولى للهجرة إلى ١٥٠٠ هـ) ، بولاق ١٣١٠ هـ .

٢ — جدول لتحويل المسطحات المترية إلى ما يقابلها من الفدن وكسورها وبالعكس ، بولاق ١٣١٤ .

٣ — رسالة فى تحديد أطوال المقاييس والموازين والمكاييل المستعملة بمصر ، ويليها جدول لمقارنة المقاييس المصرية بالمقاييس الإنجليزية والفرنسية ، بولاق ١٨٩١

٤ — المجموعة الشافية فى علم الجغرافيا (ومعها أطلس جغرافى) ، بولاق ١٢٨٩ هـ .

وقد ذكر جورجى زيدان أن له بعض الرسائل التاريخية الأخرى وإن كنت لم أستطع التحقق من أنها طبعت أو لا تزال مخطوطة ، وفيما يلى أهمها :

١ — رسالة فى سيرة الجنرال ستون الأمريكانى وخدماته للحكومة المصرية .

— ترجمة حال محمود باشا الفلكى .

— مختصر فى بيان كيفية حساب التقويم لأوقات الصلاة .

— نبذة تتضمن إقامة البرهان على معرفة قدماء المصريين لحقيقة شكل الأرض[1] .

اسماعيل سرهنك باشا :

وممن ينتمى إلى هذه المدرسة إسماعيل سرهنك باشا صاحب كتاب « حقائق الأخبار عن دول البحار » .

والده سرهنك[2] بك بن عبد الله أفندى الكريدى ،

---

(١) ذكر جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٤ ، ص ١٨٤ أن له أيضا اختراع هام للمسلمين هو دليل القبلة الإسلامية العام .

(٢) ترجم له ابنه إسماعيل ترجمة مطولة فى (حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ — ٤٥٣) .

أحضره إبراهيم باشا مع نفر كثير من أطفال وشبان جزيرة كريت ، وكانت سنه لما حضر إلى مصر لا تتجاوز السادسة ، فألحق بمدرسة الجهادية بقصر العينى فى سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م) ، وبعد خمس سنوات — أى فى سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠) — نقل إلى المدرسة البحرية وأتم دراسته بها ، وتولى العمل بعد ذلك فى البحرية المصرية وقيادة الكثير من سفنها ، وترقى فى وظائفها إلى أن عين « باشمعاون البحرية » فى عصر إسماعيل باشا .

ففى سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) صحب إبراهيم باشا عند سفره الى الاستانة لاستلام فرمان الولاية .

وعندما ساهمت مصر ببعض سفنها لمساعدة تركيا فى حرب القرم عين سرهنك بك قبودانا لغليون الفيوم ، وسافر إلى البحر الأسود .

وفى أواخر عهد سعيد أحيل إلى المعاش ، ولكنه لم يلبث أن أعيد إلى الخدمة فى أوائل عهد إسماعيل (سنة ١٢٧٩ هـ) ، وتنقل بعد ذلك فى وظائف كثيرة ، بحرية ومدنية إلى أن أحيل إلى المعاش للمرة الثانية فى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) ، ثم توفى فى سنة ١٣١٤ (١٨٩٥ م) .

أما ابنه إسماعيل — وهو من يعنينا هنا — فلم أعثر له — رغم البحث الطويل — على ترجمة تلقى الضوء على حياته وجهوده

فى البحرية أو فى التأليف التاريخى ، واضطررت لقراءة كتابه « حقائق الأخبار » بأجزائه الثلاثة قراءة بطيئة إلى أن جمعت من بين السطور هذه المعلومات التى أقنع بتقديمها هنا إلى أن أوفق إلى ترجمة أكثر تفصيلا .

ذكر إسماعيل سرهنك عند كلامه عن البحرية فى عصر إسماعيل أن الخديو « أمر ناظر البحرية بفتح مدرسة بحرية يدرس بها ما يدرس بالمدارس البحرية بأوربا ، فصدع بالأمر وانتخب لها من فيهم اللياقة من المدارس الملكية الأميرية ، وهم الحائزون على المعلومات الابتدائية ، وكنت من ضمنهم ، وجعلت تحت نظارة مكيلوب بك الإنجليزى »[1] .

فنحن نفهم من هذا النص أن إسماعيل سرهنك كان تلميذاً من التلاميذ الذين اختيروا للدراسة فى المدرسة البحرية الجديدة التى أنشئت فى عهد إسماعيل ، والتى كان يتولى نظارتها مكيلوب بك الإنجليزى ، وأنه عند التحاقه بهذه المدرسة كان قد أتم الدراسة الابتدائية .

وقد ذكر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم أن مكيلوب وصل إلى مصر وبدأ عمله فى المدرسة البحرية ابتداء من ١٥ صفر سنة ١٢٨٥ هـ (مايو ١٨٦٨)[2] بعد إنشائها بقليل ، وأن تلاميذ

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، عصر إسماعيل ص ٦٨٣ .

المدرسة «كانت تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة وحصلوا العلوم الابتدائية »[١] .

نستطيع إذن أن نقول إن إسماعيل سرهنك كان عند التحاقه بالمدرسة البحرية قد أتم دراسته الابتدائية ، وأن سنه كانت تتراوح بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة ، فإذا عرفنا أن المدرسة البحرية أنشئت فى أواخر سنة ١٨٦٧ أمكن أن نقول إنه ولد حوالى سنة ١٨٥٤ م .

أما تاريخ وفاته فمعروف ، فقد ذكرت المراجع أن توفى سنة ١٩٢٤ ، ولعل هـذا هو السبب فى عدم عثورنا على ترجمة له ، فإن أحداً لم يعن حتى الآن بالترجمـة لرجال القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) .

وقد ألحق إسماعيل بعد تخرجه ضابطا بالبحرية وترقى فى وظائفها المختلفة ، وتولى قيادة كثير من سفن الأسطول المصرى وشارك فى كثير من الحملات البحرية التى قامت بها مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر إما فى البحر الأحمر لبسط نفوذها فى إفريقيا ، أو فى البحر الأبيض المتوسط لمساعدة الدولة العثمانيه فى حروبها مع الصرب وروسيا .

ففى سنة ١٨٧٢ أرسلت الباخرة المحروسة إلى لندن لإصلاحها وكان قبودانها هو قاسم باشا ، ولما تم إصلاحها أبحرت إلى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٨٤ .

القسطنطينية ، وكان إسماعيل سرهنك واحدا من ضباطها أثناء هذه السفرة[١] .

وفى اكتوبر سنة ١٨٧٥ فتح رؤوف باشا مدينة هرر ، وبعد قليل ثارت قبائلها ، وقطعت الطرق بين زيلع وهرر « وعند ذلك سارت من مصر على وجه السرعة أورطتان معهما بطارية من المدافع على باخرة المحروسة » ، يقول إسماعيل سرهنك : « وكنت وقتها من ضباط باخرة المحروسة ، ولما وصلت هذه الجنود إلى زيلع ، وعلمت القبائل بها تشتتوا ، فعاد الأمن إلى ما كان عليه قبلا »[٢] .

وقال عند كلامه عن تجريد الحملة المصرية إلى الحبشة فى عصر إسماعيل : « وأمر المرحوم قاسم باشا وكيل البحرية بسوق كل السفن والبواخر الأميرية الموجودة بثغر الإسكندرية إلى البحر الأحمر . . . وقاد قاسم باشا المحروسة بنفسه ، وكنت من ضباطها ، وأخذت السفن تنقل الجيوش من السويس إلى مصوع . . »[٣] .

وفى ١٨٧٦ سافرت المحروسة لمساعدة الأسطول التركى فى الحرب القائمة بين الدولة العثمانية والصرب[٤] ، وكان قومندان

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٨٥

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٣٠ .

(٤) » » ، ص ٣٥٠ .

المحروسة هو قاسم باشا ، وكان إسماعيل سرهنك أركان حرب له .

وفى سنة ١٨٧٨ كان إسماعيل سرهنك ياوراً حربياً لقاسم باشا على السفن التى ذهبت لمساعدة تركيا فى حربها مع الروسيا[١] .

وفى سنة ١٨٨٠ — فى عهد توفيق — كان إسماعيل سرهنك قبودانا ثانياً للدراعة « دنقلة » التى تتولى خفارة ميناء بور سعيد[٢] .

وفى سنة ١٨٨٣ عين قبودانا لفرقاطة محمد على[٣] .

وبعد فشل الثورة العرابية واحتلال الإنجليز لمصر ألغيت البحرية المصرية ، ثم أصلح قرويت الصاعقة ، وجعل لتمرين تلامذة المدرسة البحرية ، وعين إسماعيل سرهنك مأموراً للبطارية ومعلماً لفنى الحرب والطوبجية البحرية[٤] .

وقد سكت إسماعيل سرهنك بعد ذلك فلم يذكر شيئاً عن الوظائف التى تولاها ، أو متى أحيل إلى المعاش ، ولكن كتابه « حقائق الأخبار » الذى بدئ فى طبعه فى شوال سنة ١٣١٢ هـ (مارس ١٨٩٥) ذكر على غلافه أنه من تأليف « إسماعيل سرهنك باشا ناظر المدارس الحربية » .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٥٢ .
(٢) » » ، ص ٤٤٦ .
(٣) » » ، ص ٤٤٩ .
(٤) » » ، ص ٤٤٨ .

وإسماعيل سرهنك ولو أنه يعتبر من رجال القرن العشرين لأنه توفى فى نهاية الربع الأول منه (سنة ١٩٢٤) ، إلا أننا ألحقناه بمؤرخى القرن التاسع عشر لأنه عاش معظم حياته فى هـذا القرن ، ولأنه ألف كتابه « حقائق الأخبار » — موضوع دراستنا هنا — فى أواخر القرن التاسع عشر ، وطبع الجزء الأول منه فى بولاق سنة ١٨٩٦ ، وطبع الجزء الثانى سنة ١٨٩٨ ، أما الجزء الثالث فقد طبع قسم يسير منه فى سـنة ١٩٢٣ قبل وفاته بسنة واحدة .

وقد حدد الغرض من تأليف الـكتاب فى مقدمته ، قال : « وبعد ، فلما كان الواجب على كل صاحب علم أو صناعة أن أن يجود بمعلومه ويظهره لإفادة أبناء بلاده ، ليقوم ببعض الواجب عليه نحو وطنه ، وكانت المؤلفات العصرية التاريخية فى اللغة قليلة لا تفى بالمرام ، وإن شئت فقل إنها لا تشفى عليلا ، ولا تروى غليلا ، خصوصاً ما اختص منها بتاريخ الدول البحرية ، ذات الشأن الأول فى توسيع نطاق المدنية الحاضرة ، وتسهيل سبل المواصلات البعيدة ، وكانت أهميـة التاريخ ومنافعه كما لا يخفى ضرورة لجميع طبقات الأمة ، لهذا كان يجول فى خاطرى من زمن طويل أن أضع فى هذا الخصوص مؤلفا شاملا لتواريخ الدول البحرية القديمة والحديثة ، مداركة لهذا النقص ... الخ » .

وقد رجع المؤلف عند وضع كتابه إلى عدد ضخم من المراجع القديمة والحديثة المكتوبة باللغات التى كان يتقنها ، وهى العربية والتركية والإنجليزية والفرنسية ، كما استعان بعدد كبير من المجلات والنشرات الدورية المتصلة بتاريخ الدول والأمم التى أرخ لها ، أو بموضوع البحرية بوجه خاص .

أما المعين الأكبر الذى استقى منه كثيراً من المعلومات والحقائق — وبخاصة عند التأريخ للبحرية الإسلامية أو العثمانية أو المصرية — فهو معلوماته وتجاربه ودراساته الخاصة ، فقد كان أبوه منذ طفولته إلى أن مات من رجال البحرية ، وكان هو كذلك تلميذاً بالمدرسة البحرية ثم قضى حياته على سفنها ، وتدرج فى وظائفها إلى أن وصل إلى أعلى رتبها وهى رتبة فريق[1] قبيل موته ، وعمل مع معظم رجال البحرية المصرية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وكانت تربطه وإياهم أواصر الزمالة أو الصداقة ، كما شارك فى معظم العمليات الحربية البحرية التى ساهمت فيها مصر فى ذلك الوقت لمد نفوذها فى إفريقيا أو لمساعدة تركيا فى حروبها مع الصرب والروسيا .

---

(١) كتب على غلاف الجزئين الأول والثانى من « حقائق الأخبار » أنهما من تأليف « المير الاى إسماعيل سرهنك ناظر المدارس البحرية » ، وكتب على غلاف القسم الأول من الجزء الثالث المطبوع سنة ١٩٢٣ قبل وفاة المؤلف بسنة واحدة أنه من تأليف « الفريق إسماعيل سرهنك باشا » .

وقد أشار هو إلى مراجعه هذه فى المقدمة قال : « ... وتجردت لتصنيفه ، وجمعه وترصيفه ، مستعيناً فى ذلك بأشهر المؤلفات العربية والتركية والإفرنجية ، القديمة والحديثة ؛ وبما ينشر عند أغلب الأمم من النشرات الدورية العلمية والبحرية ، وبما لدى من المعلومات التاريخية البحرية ، لأننى ممن تخرج من المدرسة البحرية المصرية ، ومارس فن البحر زمناً طويلاً فى سفن الحكومة المصرية : الحربية وغير الحربية ، ولقد بذلت فى ذلك مزيد العناية والتنقيب ، والتلخيص والترغيب ، فجاء كما أحب سفراً جامعاً شاملاً لأشتات المسائل التاريخية ، والوقائع البحرية والبرية ، القديمة والحديثة ، بين شرقية وغربية ... »

والمتصفح للكتاب يدرك لأول وهلة المجهود الضخم الذى بذله إسماعيل سرهنك عند وضع كتابه ، فهو لاينسى المصادر القديمة فيرجع إلى ابن خلدون والمقريزى وخليل بن شاهين والقلقشندى وغيرهم من المؤرخين الإسلاميين ، فإذا وصل إلى العصر الحديث تضخمت مكتبة مراجعه وكثر عددها وتعددت ألوانها ولغاتها ، فهو يرجع عند تأريخه لمصر مثلا إلى « المؤرخ الإنجليزى جون كارنوك[1] » وإلى « الأميرال الفرنسوى جوريان دولاغرافيه فى كتابه فى البحرية المسمى دوريا

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

وباربا روس»[١] ، وإلى « فيلكس مانجان فى تاريخه عن مصر المطبوع فى باريس سنة ١٨٣٩ »[٢]، وإلى « إدوار جوان فى كتابه مصر المطبوع فى القرن التاسع عشر » ، وإلى « تاريخ كلوت بك المطبوع فى باريس » ، وإلى « المستر مالك كون فى كتاب ألفه عن تاريخ الخديو إسماعيل باشا »[٣] .. الخ .. الخ .

أما المراجع العربية فهو يرجع إلى أحدثها وأوثقها ، وكثير منها من تأليف مؤرخين معاصرين للأحداث التى يكتب عنها ، فهو عند التأريخ للجيش والبحرية فى عصر محمد على مثلاً يرجع إلى كتاب الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى أحد علماء الأزهر عن « تاريخ محمد على باشا » ويشير إلى أنه رجع إلى النسخة المخطوطة من هذا الكتاب المحفوظة فى دار الكتب الخديوية (المصرية) .

وهو عند التأريخ للتوسع المصرى فى أفريقيا يرجع لكثير من المراجع التى كتبها المعاصرون ، مثل كتاب « جبر الكسر فى الخلاص من الأسر »[٤] لمحمد رفعت (أحد الضباط المصريين

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٨ .
(٢) « « ، ص ٨٩ .
(٣) « « ، ص ٣٥٧ .
(٤) طبع هذا الكتاب فى مطبعة الآداب والمؤيد ، القاهرة ١٣١٤ هـ .

الذين أسروا إبان الحملة المصرية على الحبشة) ، وكتاب « تاريخ الحرب السودانية »[١] لجبرائيل حداد ، وكتاب « غرائب الزمان فى فتح السودان »[٢] لمحمود طلعت ، و« دليل أفريقيا » لمحمد محسن بك الكاتب الثانى للمندوب العالى السلطانى بمصر ، وكتاب « السيف والنار فى السودان » لسلاتين باشا ، و « رحلة سليم قبودان إلى أعالى النيل » . أما عند التأريخ لمصر فى العصر الحديث فقد رجع إلى عدد كبير من الكتب التى ألفها معاصروه ، ومنها على سبيل المثال : « البحر الزاخر » لمحمود فهمى ، و « مصر للمصريين » لسليم نقاش ، و « التعليم فى مصر » ليعقوب أرتين ، و « قاموس القضاء والإدارة » لفيليب جلاد .. الخ .

ولم يغفل إسماعيل سرهنك عن أهمية الصحف والمجلات كمرجع رئيسى ، ففى كتابه إشارات كثيرة إلى الرجوع إلى « الوقائع المصرية » وإلى « جريدة الطائف » التى كان يصدرها العرابيون .

وقد رجع سرهنك إلى مرجع آخر يفوق هذه المراجع جميعاً فى الأهمية ، وإن كان لم يحصه ضمن مراجعه التى ذكرها فى

---

(١) نشر هذا الكتاب تباعا فى مجلة اللطائف ثم طبع بعد ذلك فى القاهرة ١٨٨٧ م .

(٢) طبع فى مطبعة السلام بالقاهرة ١٣١٤ هـ .

مقدمته ، وذلك هو وثائق العصر الذى عاش فيه ؛ فالكتاب مليء بعدد كبير جداً من الوثائق الهامة التى تلقى أضواء جديدة على تاريخ مصر والدول التى اتصلت بها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وقد استطاع إسماعيل سرهنك أن يحصل على صور هذه الوثائق بحكم مركزه والوظائف العامة التى تولاها فى البحرية ، وصلات الصداقة والزمالة التى كانت تربط بينه وبين كثير من رجال الحكم والجيش والبحرية ، وبعض هذه الوثائق نادر لا يوجد فى مرجع آخر ، فهو قد أورد مثلاً ثبتاً قيماً بأسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها فى عصر محمد على ، ونص على أنه عثر على هذا الثبت مكتوباً بخط المرحوم حسن باشا الاسكندرانى (قائد الأسطول المصرى فى ذلك العصر) « عند ولده صاحب السعادة محسن باشا »(١) .

وأورد كذلك بياناً كاملا بالاستحكامات العسكرية على الشواطئ المصرية فى عهد محمد على وما كان بها من المدافع والذخائر ، وقال إنه عثر على هذا البيان « بين أوراق قديمة من أوراق المرحوم حسن باشا الإسكندرانى مدير دار الصناعة »(٢) .

ومن الوثائق الهامة النادرة التى أوردها إسماعيل سرهنك فى كتابه :

---

(١) حقائق الأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٥٨ .

— صورة خطاب كتبه السلطان ماجد بن سعيد سلطان زنجبار فى المحرم سنة ١٢٨٢ إلى الخديو إسماعيل ، وأعطاه لمصطفى بك العرب قائد السفينتين المصريتين : الإبراهيمية وسمنود ، بمناسبة مرورهما بزنجبار فى طريقهما من البحر الأبيض إلى البحر الأحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح .

— خطاب من الخديو إسماعيل إلى الأمير محمد بن عائض أمير عسير والخطاب بقلم عبد الله باشا فكرى ، وتاريخه شعبان سنة ١٢٨٢ هـ .

— خطاب بقلم عبد الله باشا فكرى مرسل فى أكتوبر سنة ١٨٦٧ من الخديو إسماعيل إلى تيودورس ملك الحبشة للتوسط بينه وبين الحكومة الإنجليزية لإطلاق سراح التجار والقسس الإنجليز الذين كان قد أسرهم ملك الحبشة .

— خطاب بقلم عبد الله فكرى مرسل من الخديو إسماعيل إلى سلطان مراكش محمد بن عبد الرحمن ، رداً على خطاب كان قد أرسله إليه يطلب فيه تعليم بعض شبان المغرب فى الطباعة وصناعة البارود فى مصر .

— مشروع معاهدة كان يعرضها سلطان زنجبار راغباً دخول مملكة زنجبار تحت حماية مصر بشرط أن يكون لها إزاء الدولة العثمانية نفس الحقوق التى لمصر . . . الخ . الخ .

والمنهج الذى وضعه المؤلف لكتابه هو التأريخ للدول ذات التاريخ البحرى فى العصور القديمة والحديثة ، وطريقته عند التأريخ لكل دولة أن يتكلم عن موقعها الجغرافى ثم يؤرخ لثغورها الحربية والتجارية ، ويتبع ذلك بالحديث عن الدولة « وتأسيسها ، ومشاهير ملوكها ، وما حدث فى زمنهم من الحوادث المهمة ، وقوتها البحرية ، وسفنها الحربية ، وغير ذلك مما له مساس بهذا الخصوص »(١) .

وقد قسم كتابه ثلاثة أجزاء .

فقدم للجزء الأول بمقدمة عامة فى البحرية والملاحة عند الدول الأوربية والدول الإسلامية ، وأتبعها بتاريخ موجز للإنسان منذ الخليقة والحادثة الطوفان ، ثم أرخ فيه للدول البحرية فى العصور القديمة (وهى دول الفينيقيين والميديين والفرس واليونان والرومان) ، ثم لدول العرب قبل الإسلام وبعده ، وخاصة دول شمال إفريقية (مراكش والجزائر وتونس) والدولة التركية العثمانية .

أما الجزء الثانى فقد خصصه للتأريخ لمصر فى كل عصورها القديمة والوسيطة والحديثة (وهو أهم أجزاء الكتاب) .

والجزء الثالث خصصه للتأريخ لبقية دول أوربا الحديثة وهى إنجلترا وفرنسا والروسيا وألمانيا والسويد والنمسا والبرتغال

---

(١) مقدمة حقائق الأخبار .

وهولاندة والبلجيقا والنمسا وإيتاليا وإسبانيا والبرتغال ومملكة اليونان الحديثة[١] ، غير أنه لم يطبع من هذا الجزء إلا قسم يسير يتضمن التأريخ لفرنسا إلى عصر شارل السابع .

ولسنا نعرف شيئاً عن مصير بقية الكتاب ، هل أتم المؤلف كتابته ولم يطبع ، أم أنه توفى قبل أن يتمه[٢] .

والكتاب على هذا الوضع يدخل فى نطاق مجموعة الكتب التى كتبت فى مصر فى القرن التاسع عشر للتأريخ للعالم ، من أمثال « البحر الزاخر » لمحمود فهمى ، و « الكافى » لشاروبيم ، ولكنه يختلف عنها فى أن المؤلف ركز اهتمامه عند التأريخ لكل دولة بالبحرية وكل ما يتصل بها كالأسطول وأنواع السفن ودور الصناعة وفن الملاحة والحرب البحرية ومواقعها والترجمة لمشاهير قواد البحر وأمرائه . . . الخ .

---

(١) مقدمة « حقائق الأخبار » ، ولاحظ أن الخطة التى وضعها المؤلف لكتابه لم تتضمن التأريخ للأمريكتين ، بل اقتصر فيها على العالم القديم وحده .

(٢) قدم إسماعيل سرهنك فى افتتاحية القسم الأول من الجزء الثالث عذرين لتأخره فى إتمام الكتاب ، أما العذر الأول فهو تغير الحالة السياسية ، ولعله يقصد الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من قيام ثورة سنة ١٩١٩ ، وأما العذر الثانى فهو إلغاء مطبعة بولاق لنماذج الحروف التى طبع بها الجزءان الأول والثانى من الكتاب ، ووضعها لحروف جديدة « تخالف رسم هذا الطبع ، فأصبح الاستمرار فيه متعذرا بالشكل الجديد لتباين الرسم والقاعدة القديمة » .

وأهم أجزاء الكتاب — كما أسلفنا — هو الجزء الخاص بمصر أولا ، وبالدولة العثمانية ثانياً ، فهو عند التأريخ لدول العالم الأخرى لم يفعل أكثر من أن لخص ونقل عن الكتب الأوربية ، أما الأجزاء الخاصة بمصر والدولة العثمانية فمليئة بالبيانات والإحصاءات والوثائق الهامة النادرة التى لا نكاد نجدها فى مرجع آخر ، وفيها كذلك تراجم وافية مفيدة لعدد كبير من رجال البحرية[1] والجيش والدولة فى مصر فى القرن التاسع عشر .

وإسماعيل سرهنك ينتمى فى كتابه هذا إلى مدرسة على مبارك فهو قد تثقف ثقافة عسكرية ، ودرس فى المدرسة البحرية علوم الفلك والجغرافية والرياضة ، وفن الملاحة وخرط البحار ، وفن الطوبجية البحرية ، والتاريخ البحرى . . . الخ ، كما درس اللغات العربية والتركية والإنجليزية ، وقد أفاد من هذه الثقافة العسكرية العلمية كثيراً عند تأليف كتابه ، والأثر واضح فى شروحه وتعليقاته الكثيرة التى حاول فيها أن يعرف بأنواع السفن والمصطلحات البحرية والحربية التى ورد ذكرها فى ثنايا كتابه .

* * *

(١) من القواد والقبودانات الذين ترجم لهم — على سبيل المثال لا الحصر — : معطوش باشا ، حسن باشا الإسكندرانى ، سليمان حلاوة قبودان ، لطيف باشا ، رضوان باشا ، مصطفى باشا الطوسيه لى . مصطفى باشا العرب ... إلخ .. إلخ .

المؤرخون الآثاريون :

ننتقل بعد هذا إلى الكلام عن الفريق الثانى من أفراد مدرسة على مبارك ، وهو الفريق الذى قرن بين دراسة التاريخ ودراسة الآثار ، والذى عنى عناية كبيرة بتاريخ العصور القديمة بعامة وبتاريخ مصر الفرعونية بخاصة ، ولا بد لنا قبل الحديث عن هذا الفريق أن نلقى نظرة على الدراسات الأثرية فى مصر وتطورها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

كان للخديو إسماعيل اهتمام خاص بالآثار المصرية القديمة والبحث عنها وصيانتها ، وإليه يرجع الفضل فى إنشاء دار الآثار المصرية وتشجيع مريت باشا على البحث والحفر والتنقيب .

وقد خطا إسماعيل بعد هذا خطوة أخرى ففكر فى إعداد فئة من الشبان المصريين لدراسة اللغات القديمة والتاريخ والآثار ليشتركوا مع العلماء الأوربيين فى الحفر والبحث عن الآثار ودراستها وصيانتها .

وتنفيذاً لأمر إسماعيل اختير عدد من تلاميذ التجهيزية لدراسة اللغتين الحبشية والمصرية القديمة ، واختير العالم الألمانى هنرى بروكش H. Brugsch الأمين الأول لمتحف الآثار المصرية ببرلين والعضو الفخرى بالمجمع المصرى ليشرف على إعداد هذه النخبة من الشبان المصريين .

ورحب بروكش بهذه الدعوى ووصل إلى القاهرة فى منتصف سنة ١٨٦٩ ، وأعدت له الحكومة منزلا ليكون سكنا له ومدرسة لتلاميذه ، وهى المدرسة التى سميت باسم «مدرسة اللسان القديم» ، وكانت المدرسة تتكون من عشرة تلاميذ ، أخذ بعضهم من مدرسة الإدارة ، وبعضهم من مدرسة المساحة والمحاسبة ، وبعض ثالث من المدرسة التجهيزية ، وكان بروكش يدرس لهم اللغتين المصرية القديمة والألمانية ، ويعاونه مدرسون آخرون لتدريس اللغات الحبشية والعربية والإنجليزية والفرنسية .

وكان بروكش يصحب تلاميذه فى رحلاته إلى الصعيد لدراسة الآثار دراسة عملية .

ولكن هذه المدرسة لم تعمر طويلا ، فبعد نحو خمس سنوات سافر بروكش إلى ألمانيا وتعذرت عودته ، فصدر الأمر بإغلاق مدرسة اللسان المصرى القديم فى أواخر سنة ١٨٧٤ ، وشتت تلاميذها موظفين فى المصالح الحكومية المختلفة أو مترجمين بديوان المكاتب الأهلية ، يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم فى كتابه « تاريخ التعليم فى عصر إسماعيل » : « وكان على مبارك باشا يعلق على نشاطهم فى ترجمة الكتب آمالا كبيرة ، وقد عمل أكثرهم معلمين بالمدارس الابتدائية والتجهيزية للغات الأجنبية — والألمانية خاصة — والتاريخ والجغرافيا »[1] .

(١) ص ٥٧٣ — ٥٧٤ .

ومع أن هذه المدرسة التاريخية الأثرية لم تعمر طويلا فقد أسهم عدد من خريجيها فى حركة التأليف التاريخى فى مصر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وأضافوا إلى المكتبة العربية عدداً من الكتب فى الآثار والتاريخ القديم ما بين مترجمة ومؤلفة ، بل لقد نبغ واحد من هؤلاء التلاميذ نبوغاً ظاهراً ، وكون لنفسه مدرسة جديدة من الأثريين المصريين هم الذين سيحتملون عنه العبء ، وسيقومون بالنهضة الأثرية من حفر وتنقيب ودراسة وتأليف فى القرن العشرين ، ذلك التلميذ هو أحمد كمال باشا .

كان لبعض تلاميذ هذه المدرسة — كما أسلفنا — جهود فى حركة التأليف التاريخى بعد إغلاق المدرسة ، ولكنها كلها — فيما عدا جهود أحمد كمال — جهود ضحلة قليلة الأثر والقيمة ، ومع هذا آثرنا إثبات ما عثرنا عليه هنا لما له من دلالة .

كان تلاميذ هذه المدرسة عشرة[1] ، عثرنا على بعض جهود ثلاثة منهم — عدا أحمد كمال — وهم : أحمد نجيب ، وحسين زكى ، وأحمد حسن .

أما أحمد نجيب فقد عين بعد ذلك مفتشاً وأميناً لعموم الآثار

---

(١) ذكر (الدكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر ، عصر إسماعيل ، ص ٥٧٠ — ٥٧١) أسماء هؤلاء العشرة وهم : محمد توفيق ، أحمد نجيب ، على جيد ، محمد فخرى ، محمد عصمت ، محمد وصفى ، إبراهيم نجيب ، أحمد حسن ، حسين زكى ، أحمد كمال .

المصرية ثم اشتغل بالصحافة ، وأصدر جريدة اسمها « المنظوم » ، وله فى التاريخ الكتب الآتية :

١ — الأثر الجليل لقدماء وادى النيل ، موضح بالصور ، طبع فى بولاق سنة ١٣١١ .

٢ — العقد النظيم فى مآخذ جميع الحروف المصرية من اللسان القديم ، ترجمه عن كتاب لأستاذه هنرى بروكش ، طبع فى مطبعة المدارس الملكية ، ١٢٨٩ هـ .

٣ — القول المفيد فى آثار الصعيد ، وطبع فى بولاق سنة ١٣١٠ هـ .

وأما حسين زكى فقد اشتغل بعد ذلك بتدريس اللغة الفرنسية وعين أميناً لتوريدات المدرسة الخديوية ، وقد عثرت له على الكتابين التاريخيين التاليين :

١ — تاريخ الأمم الشرقية القديمة ، التقطه من كتب اللغة الفرنسية والعربية ، طبع فى مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٢ .

٢ — يقظة الغافلين عن سير وحكم أشهر الفلاسفة الماضين ، معرب طبع فى القاهرة (بدون تاريخ) .

وقد عثرت على من اسمه أحمد حسن ، وكان ناظراً لمدرسة عباس الأميرية ببولاق فى سنة ١٣١٢ ، فلعله هو أحمد حسن أحد تلاميذ مدرسة اللسان القديم ، وله كتاب واحد فى التاريخ

القديم عنوانه : « لب التاريخ العام فيما صدر فى غابر الأعوام » ، وهو يبدأ بتاريخ مصر القديم وينتهى بالفتوح الإسلامية ، طبع فى القاهرة سنة ١٣٠٥ هـ .

ولكن أحمد كمال كان الثمرة للوحيدة الباقية لأول مدرسة للآثار فى مصر .

أحمد كمال باشا :

ولد أحمد كمال فى القاهرة[1] فى سنة ١٨٥٠ ، وتلقى علومه الأولى فى مدرسة المبتديان بالعباسية ، ثم التحق بالمدرسة التجهيزية ، ومنها اختير ليكون تلميذاً بمدرسة اللسان المصرى القديم حيث درس اللغات العربية والفرنسية والألمانية والقبطية والحبشية والمصرية القديمة ، وأتقن معظمها إلى حد كبير .

وكان أحمد كمال أكثر تلاميذ المدرسة شغفاً بالآثار ودراستها ، ولهذا حاول كثيراً بعد إغلاق المدرسة أن يعمل فى المتحف المصرى ولكنه لم يفلح فى مسعاه ، وتقلب فى وظائف كثيرة ، فكان مترجماً فى نظارة المعارف ، ثم مدرساً للغة الألمانية فى المدارس الأميرية ، ثم كاتباً فى مصلحة الجمارك ، ولكنه ظل أثناء توليه هذه الوظائف جميعاً مقبلا على دراسة الآثار إلى أن وفق أخيراً

(١) انظر ترجمته فى (مجلة المقتطف ، نوفمبر سنة ١٩٢٣) و (أعلام المقتطف ، ص ٣١٥ – ٣١٨) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية).

بمساعدة رياض باشا فى أن يعين سكرتيراً ومترجماً بالمتحف المصرى ثم أميناً مساعداً له ، وقد قام بعد هذا بالحفر والتنقيب فى أماكن كثيرة فى الصعيد والوجه البحرى ، ونشر كثيراً من الأبحاث عن نتائج هذه الحفائر .

وخير ما يذكر لأحمد كمال عنايته الكبرى ومساعيه المتصلة فى أوائل القرن العشرين لنشر الوعى الآثارى بين المصريين ولإعادة مدرسة الآثار أو اللسان المصرى القديم إلى الوجود ، فسعى فى سنة ١٩١٠ لدى حشمت باشا وزير المعارف للموافقة على تعليم اللغة المصرية القديمة لبعض طلبة المدارس العليا ، ونجح أحمد كمال فى مسعاه ، واختير سبعة من طلبة مدرسة المعلمين العليا لدراسة هذه اللغة وهم : محمود حمزة ، وسليم حسن ، ومحمد عبد الوهاب ، ومحمود فهيم ، ورياض جندى ملطى ، وأحمد البدرى ، ورمسيس شافعى ، وكان يشاركهم فى حضور دروس أحمد كمال فى اللغة المصرية القديمة ابنه حسن كمال ، وبعد أن حصل هؤلاء الطلاب على دبلوم المعلمين العليا حاول أحمد كمال أن يلحقهم بالمتحف المصرى ليتفرغوا لدراسة الآثار ، ولكنه لم يفلح ، وعينوا مدرسين فى مدارس الوزارة ، غير أن اثنين منهم ظلا على اتصال وثيق بأستاذهما وبالدراسات الأثرية ، وهما محمود حمزة وسليم حسن .

وفى عام ١٩٢١ شكا أحمد كمال للملك أحمد فؤاد من عدم

وجود أثريين مصريين فى المتحف المصرى ، فأمر الملك باختيار ثلاثة من الشبان المصريين ليرسلوا فى بعثة إلى أوربا للتخصص فى دراسة الآثار المصرية ، وهم : محمود حمزة وسليم حسن وسامى جبرة ، وقد عين الأول بعد عودته أميناً بالمتحف المصرى ، وعين الثانى والثالث أستاذين للآثار والتاريخ القديم بالجامعة المصرية ، وكانت للجميع ولتلاميذهم من بعدهم جهود كبيرة فى الحفر والتنقيب ودراسة الآثار .

وقد ألف أحمد كمال مجموعة كبيرة من الكتب فى الآثار والتاريخ القديم واللغة المصرية القديمة ، بعضها باللغة الفرنسية ، وبعضها باللغة العربية .

أما مؤلفاته باللغة الفرنسية فهى :

١ — صفائح القبور فى العصر اليونانى والرومانى ، فى مجلدين ، الأول يشمل على النقوش منقولة عن الأصل ، والثانى يضم ٩٠ لوحة فوتوغرافية لتلك الصفائح .

٢ — الموائد القديمة من الطبقة الوسطى إلى العهد الرومانى ، وهو كتاب أثرى ، ويقع فى جزئين ، أحدهما يشمل النصوص القديمة ، والثانى فيه ٥٥ لوحة فوتوغرافية لتلك الموائد .

٣ — الدر المكنوز فى الخبايا والكنوز ، فى مجلدين ، الأول باللغة العربية والثانى باللغة الفرنسية .

أحمد كمال

obeikandl.com

٤ — رسالة فى الملابس المصرية .

٥ — رسالة فى الإشارات الهيروغليفية .

٦ — مقالات علمية عن الحفائر التى قام بها نشرت فى مجلات مختلفة مثل مجلة المتحف المصرى ، ومجموعة الأعمال المصرية القديمة والأشورية ، ومجلة المعهد العلمى المصرى ، ومجلة الجمعية الجغرافية وغيرها .

٧ — قاموس اللغة المصرية القديمة ، قضى فى تأليفه حوالى ٢٥ سنة ، ويقع فى ٣٢ مجلداً ، وحاول فيه أن يبرهن على وجود علاقة كبيرة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية ، وقد حاول فى أخريات أيام حياته أن يقنع الحكومة بطبع هذا القاموس على نفقتها ، ولكنه لم يفلح .

أما مؤلفاته العربية فهى :

١ — بغية الطالبين فى علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين ، مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، ١٣٠٩ .

٢ — ترويح النفس فى مدينة الشمس ، بولاق ١٢٩٥ .

٣ — الحضارة المصرية القديمة (ويتضمن المحاضرات التى ألقاها على طلبة الجامعة المصرية القديمة) ، الجزء الأول فى حضارة المصريين القدماء ، (وفى مقدمته ترجمة حياة المؤلف) .

٤ — الدر المكنوز فى الخبايا والكنوز ، الجزء الأول باللغة العربية والثانى بالفرنسية ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٥ — الدر النفيس فى مدينة ممفيس ، القاهرة ١٩١٠ .

٦ — العقد الثمين فى محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين ، بولاق ١٣٠٠ .

٧ — الفوائد البهية فى قواعد اللغة الهيروغليفية ، بولاق ١٣٠٣ .

٨ — اللآلئ الدرية فى النبات والأشجار القديمة المصرية (قاموس للنباتات المصرية القديمة) القاهرة ١٣٠٦ .

٩ — الخلاصة الدرية فى آثار متحف الإسكندرية ، تأليف الدكتور بونى أمين المتحف ، وترجمة أحمد كمال ، مطبعة عين شمس ١٩٠١ .

١٠ — الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج بمتحف الجيزة ، القاهرة ١٣١٠ .

١١ — دليل دار المتحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة ، تأليف ماسبيرو وترجمة أحمد كمال ، بولاق ١٩٠٣ .

* * *

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بدأ نفر من المصريين ومن العلمـاء الأجانب المقيمين فى مصر يعنون بالآثار الإسلامية عنايتهم بالآثار المصرية القديمة ، واستجابت الحكومة لهذا الاتجـاه ، وصدر فى ١٨ ديسمبر سنة ١٨٨١ ديكريتو بتكوين لجنة من ١٢ عضواً لحفظ الآثار القديمة العربية ، ونص فى قرار تكوينها على اختصاصاتها وهى: جرد وحصر الآثار العربية القديمة وصيانتها وحفظها من التلف ، وترميم ما يحتاج منها إلى ترميم ، وعمل رسوم لها تحفظ بمكتبة وزارة الأوقاف ، وجمع ما بها من تحف لتحفظ فى « الأنتيكخانة » .

وكان لإنشاء هذه اللجنة وللبدء فى العناية بهذا النوع من الآثار أثر قوى فى إحياء الدراسات التاريخية الإسلامية بعد أن كانت قد أهملت ردحاً طويلا من الزمن .

وكان من بين الأعضاء المصريين الأول فى هـذه اللجنة محمود الفلكى وإسماعيل الفلكى ، ثم لم يلبث أن انضم إليها بعد قليل على بهجت ، وقد كانت لهذا الرجل جهود كثيرة جليلة فى خدمة تاريخ مصر الإسلامية وآثارها .

على بهجت بك :

وعلى بهجت[١] من أبناء القاهرة ، ولد فيها حوالى سنة ١٨٥٩ ، وفى مدارسها أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بمدرسة الألسن ، وأتقن دراسة اللغتين العربية والفرنسية ، وحصل قدراً كبيراً من اللغات الفارسية والتركية والألمانية ، وشغف حباً بدراسة التاريخ الإسلامى ، وعين بعد تخرجه مدرساً للتاريخ بمدرسة الألسن ، وتنقل فى وظائف مختلفة إلى أن عين أميناً لدار الآثار العربية بعد إنشائها ، ومثل مصر فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى روما سنة ١٨٩٩ ، وزار كثيراً من مدن أوربا ومكتباتها ، ويرجع إليه الفضل الكبير فى ترتيب دار الآثار العربية بالاشتراك مع مديرها هرتس باشا ، وقام بحفائر أثرية علمية فى أطلال مدينة الفسطاط ، وسجل نتائج حفائره فى كتاب كتبه باللغة الفرنسية ، ثم ترجمه إلى اللغة العربية بالاشتراك مع محمود عكوش .

وكانت لجنة حفظ الآثار العربية تطبع فى كل عام مجلداً باللغة

---

(١) انظر كتاب مراثى حضرات الخطباء والشعراء فى حفلة تأبين المرحوم على بك بهجت ، المطبعة التجارية بمصر سنة ١٩٢٤ ؛ وسركيس : معجم المطبوعات العربية .

الفرنسية[١] وترجمة له باللغة العربيـة يتضمن محاضر جلساتها والتقارير التى تكتب عن الآثار العربية التى ترمم أو تدرس ، وكان على بهجت يقوم بترجمة هذه المحاضر والتقارير إلى اللغة العربية منذ انضمامه إلى عضوية اللجنة ، وهذه المجلدات تعتبر من أهم المراجع لدراسة آثار مصر الإسلامية ، ففيها دراسة علمية مزودة فى معظم الأحوال بصور ورسوم دقيقة .

ولعلى بهجت أبحاث ومقالات[٢] كثيرة فى مختلف نواحى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية ، كتب معظمها باللغة الفرنسية ونشرها فى مجلة المجمع المصرى ، كما أنه ترجم كثيراً من الكتب

---

(١) عنوان هذه المجموعات باللغة الفرنسية :

Comité de Conservation des Monuments de l'Art Arabe. Procés-Verbaux des Séances et Rapports.

وباللغة العربية : محاضر وتقارير لجنة حفظ الآثار العربية القديمة .

(٢) انظر على سبيل المثال :

Aly Babgat = *Les Forêts en Egypte et leur Administration au Moyen âge. dans (Le Bulletin de l'Institut Egyptien, année 1900).*

= *Acte de Mariage du Général Abdalla Menou, avec la Dam Zobeidah. dans (B. In. Eg. an. 1898).*

= *La Famille Musulmane du General Abdalla Menou (idem, 1900).*

= *Une Etude Archeologique. dans (les Mémoires Institut Egydtien, tome VIII).*

والتقارير عن الفرنسية إلى العربية ، وهو أول من نشر كتاب « قانون ديوان الرسائل » للمؤرخ الفاطمى ابن الصيرفى ، مع مقدمة وتعليقات قيمة ، وفيما يلى بيان بأهم كتبه العربية :

١ — محاضر جلسات لجنة حفظ الآثار العربية وتقارير قسمها الفنى من المجموعة الرابعة إلى المجموعة السادسة والعشرين الخاصة بسنة ١٩٠٩ ، ترجمها عن الفرنسية إلى العربية ، وطبعت فى مطبعة ديوان الأوقاف (المجموعة ٢٦ طبعت سنة ١٩١٢) .

٢ — القول التام فى التعليم العام ، تأليف يعقوب أرتين باشا ، ترجمه إلى العربية ، بولاق ١٨٩٣ .

٣ — قانون ديوان الرسائل ، لابن الصيرفى ، نشره مع مقدمة وتعليقات ، القاهرة سنة ١٩٠٥ .

٤ — قاموس الأمكنة والبقاع التى يرد ذكرها فى كتب الفتح ، القاهرة ١٣٢٤ .

٥ — الآثار العربية لماكس هرتس بك ، ترجمه إلى العربية ، مطبعة دار الآثار بالقاهرة ١٩٠١ .

٦ — تاريخ جامع السلطان حسن لهرتس بك ، ترجمه إلى العربية ، بولاق ١٣١٩ هـ .

٧ — تقرير عن دار الكتب الخديوية ، مطبعة الجريدة سنة ١٩٠٨ .

٨ — فهرست مقتنيات دار الآثار العربية ولمعة فى تاريخ فن المعمار وسائر الفنون الصناعية بمصر ، تأليف مكس هرتس بك ، ترجمه إلى العربية ، بولاق ، ١٣٢٧ .

٩ — حفريات الفسطاط ، ألفه بالفرنسية على بهجت والمهندس ألبير جبرييل ، وترجمه إلى العربية على بهجت ومحمود عكوش ، وطبعت النسخة العربية بعد وفاته ، بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨ .

obeikandl.com